

قراءة في المساهمة الثقافية للمرأة في المجتمع الشنقيطي

A reading of Women cultural contribution to the society of Shinqitti

إعداد: د. بخوته الشيخ الصوفي: أستاذة لدى وزارة العمل الاجتماعي والطفولة والأسرة،

موريتانيا

Vadila83@yahoo.fr

**Prepared by: Dr. Bekhouthe Cheikh Soufi: Professo rat the Ministry of
Social Affairs, Children and Family, Mauritania**

الملخص:

يعد الاهتمام بتاريخ المرأة ثقافة وتأثيرا من أهم المسائل التي ماقتنت تشغل الباحثين والمهتمين بالشأن النسائي، وفي هذا الإطار يندرج هذا البحث الذي يتناول موضوع "الاسهام الثقافي للمرأة في المجتمع الشنقيطي"، حيث يسعى هذا البحث الى الكشف عن مدى تأثير المرأة في الثقافة الشنقيطية (الموريتانية)، ومن ثم محاولة البحث عن بدايات الكتابة النسائية في موريتانيا ممثلة في الانتاج الأدبي النسائي في الفترة الشنقيطية، ومدى تأثير ذلك الانتاج في الوعي الجماعي، وإن ظل الحضور الثقافي للمرأة خلال هذه المرحلة ضعيفا، نظرا لتحكم سلطان العرف والعادات، إلا أنه في المقابل كانت توجد اصوات نسائية ساهمت في تشكيل المشهد الثقافي الشنقيطي، وهو ماهدفنا الى اظهاره من خلال هذا البحث، حيث اتضح لنا من خلال المعلومات المتاحة وكنتيجة أولية وحتمية أن المرأة الشنقيطية كان لها حظ من الثقافة المكتوبة المتداولة في الوسط الاجتماعي، وإن كان يصعب تقويم ذلك الاسهام الثقافي، ومن هنا ندعو الجهات المعنية بحفظ التراث الموريتاني، إلى جرد شمولي للتراث النسائي المادي منه وغير المادي، ومن ثم محاولة تمحيصه ودراسته، بشكل جاد، ينادى عن الاغراض والمصادر الجاهزة والأنية.

كلمات المفتاحية: المرأة - الثقافة - المجتمع الشنقيطي - الاسهام الثقافي - موريتانيا.

Abstract:

Interest in the study of women history and impact is one of the topics that attracted the researchers in the domain of women studies. This research is a contribution to such an effort. It focuses on the “women cultural contribution to the society of Shingiti”. It seeks to identify the degree to which Mauritanian women impact the culture of their society. Therefore, it backtracks Mauritanian women’s early writings as reflected in literature in the Shingiti era and how such writings impact the collective consciousness despite the fact such a literature was minimal because of the power of societal traditions and customs. Yet, we noticed some women voices that contributed to the manufacturing of the collective cultural of Shingit. Many of the

cultural literature of the society of Shiquit that were collected were written by women. However, such a literature cannot be evaluated unless it is collected entirely and rigorously studies away from objective judgment and pre-determined conclusions.

Keywords: Women-The culture - Shanqeetti socity - cultural contribution - Mauritania.

المقدمة:

إن الاهتمام بتاريخ النساء ثقافة وتأثيرا يعتبر من أهم المسائل التي ما فتئت تشغل الباحثين في الحقل المعرفي، ذلك أن الكشف عن تاريخ المرأة، بخصوصياته، وتجلياته المميزه له عن باقي التاريخ الاجتماعي، كان ضمن اهتمامات البحث الأكاديمي في العالم، ولئن كان من الصعوبة بمكان الخوض في موضوع لم ينفرد به التأليف من قبل في المجال الشنقيطي، بحيث لم تنل الثقافة النسائية بشكل عام حظا من البحث المعاصر، فحتى الآن لا توجد أية دراسة جادة تسعى إلى تأصيل للإرث الثقافي النسائي في بلاد شنقيط، وذلك بسبب ندرة المطبوع والمنشور من الإنتاج المعرفي النسائي من جهة، والعزوف عن القراءة والكتابة في أوساط النسوة من جهة أخرى، وإن كانت المرأة الشنقيطية تشترك مع بنات جنسها عامة فيما يتعلق بالجدور الثقافية من حيث الكليات وتتميز بأنها كانت عبر الزمن بدوية ولما يكد يستقر قرارها في ميدان الثقافة.

وفي هذا الإطار يندرج هذا المقال الذي يتناول موضوع "الاسهام الثقافي للمرأة في المجتمع الشنقيطي"، والذي انتهجنا فيه منهج التاريخ الوصفي بغية سبر اغوار الثقافة الشنقيطية، ومعرفة مدى تأثير المرأة في ذلك السياق، ثقافة وحضورا، ومن هذا المنطلق تكمن اهم اهداف البحث والتي تتمحور أساسا في محاولة نفض الغبار عن بعض ملامح الثقافة النسائية في الفترة الشنقيطية والتي مثلت مرحلة ازدهار التواصل العلمي بين العلماء الشناقطة ونظرائهم المشاركة. حيث ينبع اختيارنا من محددين أساسيين هما: الحيز المجالي (بلاد شنقيط)⁽¹⁾، والإطار المعرفي مثمثا في (الاسهام

(1) بلاد شنقيط: هي اسم علم لحاضرة موريتانية تقع في الشمال الموريتاني الحالي على بعد (460/كلم)، من العاصمة انواكشوط، وقد اشتهرت بالعلم وازدهار الثقافة، ومن هنا استعير الاسم للدلالة على المجال الموريتاني الحالي.

الثقافي للمرأة⁽¹⁾، ومن ثم محاولة فهم الاشكالية الأساسية التي تكمن في البحث عن بدايات الكتابة النسائية في موريتانيا ممثلة في الانتاج الأدبي النسائي في الفترة الشنقيطية، وعن مدى تأثير ذلك الانتاج في الوعي الجماعي وعلى النخب الفكرية؟ وماهي عوائق الانتاج الثقافي النسائي في مجتمع ظل الى عهد قريب رهين القول المأثور بأن "صوت المرأة عورة، فكيف بقلمها"؟

المبحث الأول: المرأة في المجتمع الشنقيطي

1) المرأة من حيث المكانة والتأثير

لقد استمدت المرأة الشنقيطية (الموريتانية)، مكانتها التليدة من القيمة المعنوية والمادية التي كان يوليها المجتمع لها، وقد اكتشف ابن بطوطة خلال رحلته في القرن الرابع عشر الميلادي لمنطقة ولاته أو إيولاتن، ما تتمتع به المرأة الشنقيطية من إجلال وتقدير حين قال: «... ولنسائها الجمال الفائق وهن أعظم شأنًا من الرجال»⁽²⁾، وقبل ذلك احتلت المرأة في مجتمع الملتئمين مكانة راسخة، تتجلى في ممارستها لوظائف عدة، وقيامها بأدوار مختلفة، داخل البيت وخارجه، ففي حين كانت فيه المرأة في معظم المجتمعات الإسلامية قابعة وراء الجدران، كانت المرأة في صحراء الملتئمين تشارك الرجل في كثير من الأعمال.

إن طبيعة المجتمع الشنقيطي القائمة على الترحال وعدم الاستقرار تتطلب مشاركة الجميع في العمل ومصارعة الحياة في الصحراء، فكانت المرأة تقوم بالتخيم والأعمال المنزلية والظعن⁽³⁾، كما كانت تشارك الرجل في رعي المواشي، وتساهم أحيان أخرى في الحروب؛ خاصة عندما يتعلق الأمر بصد الغارات عن الحي أو المدينة التي تقطنها⁽⁴⁾، وهكذا ساهمت طبيعة المأوى في منع المرأة الشنقيطية من العزلة التي عرفتتها مثيلاتها في المجتمعات العربية والإسلامية الأخرى، فكانت الخيمة المكان الذي يأوي إليه الجميع، سواء تعلق الأمر بأفراد الأسرة أو بالضيوف، وقد سمحت تلك الوضعية للمرأة بحرية حضور الجلسات المشتركة بين الرجال والنساء، فكانت تستقبل الضيوف في

(1) الثقافة النسائية: مصطلح حديث النشأة، ظهر في بداية السبعينات من القرن الماضي في الغرب إثر الاهتمام بقضايا المرأة الفكرية وسياسية وقد استخدمناه هنا للدلالة على الاسهام الثقافي للمرأة الشنقيطية لما له من تميز.
(2) ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار إحياء العلوم، ط3، بيروت، 1987، ص609.

(3) الناني ولد الحسين، صحراء الملتئمين، دراسة في تاريخ موريتانيا وتفاعلها مع محيطها الاقليمي، خلال العصر الوسيط، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2007، ص. 166.

(4) أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الإرب في فنون الأدب، تحقيق وتعليق: مصطفى أبو ضيف، الدار المغربية للنشر، الدار البيضاء، 1985، ص. 380.

غياب الزوج وتكرمهم مع محافظتها على شرفها وعفتها⁽¹⁾. وهكذا؛ فإن الشأن المهم الذي كانت المرأة الشنقيطية تقوم به، قد مكنها من أن تحصل على أغلب الحقوق التي يتوفر عليها الرجل؛ إذ تشارك في اتخاذ القرارات المتعلقة بالأمر العامة عن طريق حضورها في مجلس القبيلة⁽²⁾.

غير أنه وبالرغم من ذلك؛ فإن المرأة في بلاد شنقيط و ككل المجتمعات العربية، لم يكن بروزها إلى الحياة العامة مصدر إلهام لدى الناس، ولا باعثاً على السرور، وإن أحيطت بكثير من التبجيل والتكريم، فهي من صغرها مكرمة مدللة وهي: "شجرة رقيقة تعهد دائماً بالرعاية وتحاط بالعطف والحنان في الصغر، وفي الكبر تعنى بحسن المعاشرة والتبجيل"⁽³⁾، وهنا نورد مقولة الشيخ محمد الإمام بن الشيخ ماء العينين القفمي (ت1976)⁽⁴⁾ حين قال إن: «النساء عند عامة أهل القطر الشنقيطي كأنهن لم يخلقن إلا للتبجيل والإكرام والتودد لهن، فلا تكليف عليهن ولا تعنيف، فالمرأة سيدة البيت والرجل بمثابة الضيف عليها، ولها أن تفعل ما شاءت من غير اعتراض ولا مراقبة»⁽⁵⁾.

وعلى هذا الأساس، تعرف المرأة في المجتمع الشنقيطي العناية التي كانت تحظى بها من الرجل، فقد ضربت الأمثال في تكريمها، وجرت الحكم على الألسن في إحسانها، ومن ذلك قول المثل الحساني: "إنهن عمائم الأجواد ونعال الكلاب"، فالجميع مطالب بأن يعطف على المرأة ويعاملها بكل إكبار وتقدير وبكل مودة واحترام⁽⁶⁾.

وقد؛ وصلت المرأة في المجتمع الشنقيطي درجة هامة من التبجيل، جعلت المجتمع يربط صلاح الأبناء بتربية الأمهات، لذا شاع في المجتمع الشنقيطي ما اصطلح عليه بظاهرة "أولاد لعليات" وهم: مجموعة من النوابع ذكرهم التاريخ الشنقيطي، وأثروا في مجراه، وقد نسب كل منهم إلى أمه، وعيا من هذا المجتمع بأن هؤلاء الأفاضل هم من صنع أياد أمومية، وأشهر من لقب بأولاد لعليات: (محمذن البيدالي المكنى بابات1166هـ) الذي كان يطلق عليه "ابن امكيلاتنت" (أحمد بن العاقل،

(1) الناني ولد الحسين، صحراء المثلثين: دراسة في تاريخ موريتانيا وتفاعلها مع محيطها الأقليمي، خلال العصر الوسيط، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2007. ص. 166.

(2) نفسه، ص167.

(3) المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، ج2، الحياة الثقافية، الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1990، ص 180-197.

(4) الشيخ محمد الإمام بن الشيخ ماء العينين، الجاش الربيط: في النضال عن مغربية شنقيط وعربية المغاربة من مركب وبسيط، ط 1، مطابع حزب الاستقلال، 1957.

(10) نفسه، ص.53

(6) محمذن بن أحمد بن المحبوبي، «المرأة الشنقيطية ونوزائل الزينة والبدانة، وقفة مع المنحنى الاجتماعي في التوجه الإفتائي»، مجلة الوسيط، ع 14، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، انواكشوط، 2015، ص. 3- 8.

ت/1244هـ)، ويطلق عليه "ابن عيتات" و(محنض بابا بن أعبيد، ت 1277هـ) "تانيت" وجميع هؤلاء علماء فطاحلة (1).

فسيدة الخيم تتمتع بسيادة مطلقة وسلطة لامتناهية، فهي تعطي وتمنع وتبيع وتشتري وهي المسؤولة عن تدبير مدخرات البيت، ولها الحق الكامل في التصرف بلا حساب ولا معاقبة، على خلاف ما نجده لدى المرأة في المجتمعات العربية والإفريقية التي لا تستطيع التصرف في أي شيء بدون إذن الرجل، حيث يبقى هو الأمر النهائي في البيت وخارجه.

وفي الفترة المعاصرة، اكتشف الرحالة الفرنسي (ريني كايي 1838/1799) (2)، ذلك التأثير الكبير الذي تحظى به المرأة الموريتانية في محيطها الاجتماعي، حيث عبر عن تأثره البالغ وإعجابه بالمرأة البيضانية في بلاد شنقيط قائلا: «إن لهؤلاء البيضانيات من التأثير على أزواجهن أكثر لما لسيداتنا الفرنسيات»، ويتحدث "ريني كايي" عن تعلم البنات عند مجتمع البيضان موضحاً أن نصيبهن من التعليم كان محدود؛ إذ يقتصر، في الغالب، على حفظ سور من القرآن وتعلم أحكام الصلاة، وبعض الأدعية، ومع ذلك توجد من بينهن بعض مثققات.

وعموماً تختلف مكانة المرأة في المجتمع الشنقيطي حسب الوسط، وما يزال انعكاس دورها في المجتمع قوياً حتى اليوم، وإن كانت ثمة تحولات عميقة تجري حالياً لدى مجتمعات نساء المجتمع البيضاني، حيث تتمتع المرأة بحياة فارغة نسبياً دون الزام بالعمل، إلا في المهام المنزلية، في حين أن نساء مجتمعات البولار والسونكي والولوف (3)، يساهمن في الأعمال المنزلية، ويشاركن في الأنشطة الانتاجية (الأعمال الزراعية، ورعاية الماشية، وغيرها..)، ويعترف المجتمع الشنقيطي للمرأة بحرية تملك المال، الذي تحوزه عند زواجها (برسم الجهاز أو الصداق أو الهدية مثلاً)، وأي مال آخر تملكه ملكاً شخصياً، ويمكنها مبدئياً أن تتصرف فيه كما تشاء، وأن تستصحبه في حالة

(1) أغل بنت عبد الله، المرأة الموريتانية بين أسر التقليد ورياح التغيير، بحث لنيل "الاجازة المتريز" المعهد العالي للدراستات والبحوث الإسلامية، أنواكشوط، 1995-1996، ص.36.

(2) زار الرحالة الفرنسي ريني كايي منطقة لبراكنة في وسط موريتانيا 1924، وقطن فيها مايربو على تسعة أشهر، حيث اختلط بالسكان وعاداتهم، فكان له بعض الآراء حول المجتمع الموريتاني والمرأة فيه، تحدث عنها في رحلاته. راجع:

-René Caillé, **Travels through Cental Africa to timbuctoo, and Across the Great Desert, to Morocco, performed in the years, (1824-1828)**, Cambridge University, England, 2013.

(3) Cheikh Aidara, «la femme mauritanienne et l'histoire», journal Nouakchott, p7-9.

الطلاق، أما لدى المجموعات الفئوية الأخرى من الزوج، فإن الاعتراف بملكية النساء أكثر تقييدا بكثير، حيث يطلب من النساء الاستثمار في البحث عن الموارد الاقتصادية للأسرة، من خلال المساهمة في هذه الموارد بمواردهن الخاصة، وبقوة عملهن، ويطلب منها أن تشد أزرها بعمل يدها، وقد تعززت هذه العادات في أنماط الحياة خلال العقود الماضية.

ومنتهى القول إن المرأة في المجتمع الشنقيطي، ما فتئت تحظى بمكانة مرموقة، وإن اختلفت تلك المكانة من مجموعة لأخرى، وحسب عادات كل مجموعة وتقاليدها، إلا أنه في الأغلب، يبقى الطابع البارز لسلطان المرأة في هذا المجتمع، وهو ما يشكل نشاطا في المجتمعات الإسلامية العربية والزنجية ذات الصيغة الأبوية الحادة أحيانا، فقد سايرت المرأة الحركة الثقافية في بلاد شنقيط، رغم ما يكتنف ذلك من عوائق طاردة لأي إنتاج نسائي.

(2) الثقافة الشنقيطية والمرأة

عرفت "بلاد شنقيط" منذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، ازدهارا فكريا أطره الدارسون في سياق ما أصطلح عليه "بالنهضة الثقافية" في المجال الشنقيطي وهي: حركة ثقافية اتخذت تمظهرات مختلفة أبرزها: ازدهار الحياة العلمية التي رمزت لها المحاضرة، بأنشطتها المختلفة من غنى المكتبات واتساع قاعدة طلبة العلم (1).

وتعود جذور الثقافة الشنقيطية الى مؤسسة المحاضرة التربوية، التي يغلب عليها طابع التنقل وراء مساقط الغيث، وتسود منهاجها متون المذهب المالكي، والتراث الأدبي واللغوي العربي الأصيل، والعقيدة الأشعرية، والتصوف السني. واللافت للانتباه هو: تطور التعليم بالبوادي التي ورثت المكانة العلمية عن الحواضر، حيث شاع العلم كثيرا بالمحاضر البدوية، وصار أكثر نضجا وقوة بالرغم من قساوة الظروف الطبيعية، وشغف العيش وقلّة الوسائل، بيد أن هذه الاكراهات المادية والطبيعية لم تحل أبدا دون اشعاع التعليم وتطور المحاضر التي شكلت قبلة للطلبة، من شتى نواحي بلاد شنقيط وغيرها (2).

(14) محمد بوز نكاض، التواصل بين بلاد البيضان والمشرق العربي خلال القرنين 19 و20، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، 2014، ص. 147.

(15) الحسين حديدي، الحياة الفكرية والروحية بالمجال البيطاني خلال القرنين 18 و19م، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، 2014، ص. 109.

لقد ساهمت تلك العوامل مع غيرها في تهيئة المناخ الملائم لتبوء المرأة المكانة اللائقة بها في مجتمع النخبة المتعلمة في بلاد شنقيط، وذلك من خلال احتضان هذه الربوع لنهضة ثقافية بلغ صيتها أقصى المشرق العربي، فيما ساهمت بعض فتاوي العلماء الشناقطة، والتي عززت أحقية المرأة في التعلم في ظهور اهتمام نسائي بالتحصيل المعرفي على الأقل في حقل العلوم الدينية، والأدبية. إذ، اختصر اهتمام غالبية النساء الشنقيطيات على دراسة السيرة النبوية الشريفة، ودراسة القرآن الكريم وبعض الأحكام الفقهية، وإن لم يمنعهن ذلك من أن مزاحمة الرجال على المعارف الأخرى⁽¹⁾.

وعلى هذا النحو حفظت النساء الشنقيطيات القرآن، ودرسن علوم النحو، والفقه والتشريع الإسلامي وسيرة الرسول ﷺ، وأنشأن محاضر ومدارس قرآنية مشهورة، وشاركن في أغلب مجالات الثقافة⁽²⁾، ولم ينقص من قيمة ذلك الانتاج أن أغلبه غير مكتوب، وأن جله يؤخذ بالممارسة والتلقين الشفهي⁽³⁾، وقد أورد الأستاذ عباس الجراري في كتابه: "ثقافة الصحراء" عشرات النساء اللاتي كان لهن اسهام جلي في الحياة الثقافية، ومن بينهن صافية بنت المختار، التي كانت مدرسة وعالمة بالتجويد والتفسير والسيرة والنحو⁽⁴⁾، بالرغم من المواقف المتشددة من بعض الفقهاء الشناقطة، الذين كان بعضهم يرى في مجرد صوت المرأة عورة، ناهيك عما يكتنف ذلك من كبت فكري وعقلي.

(3) مواقف الفقهاء من تعلم المرأة

إن نظرة الفقهاء الشناقطة، وإن انبثقت من النظرة الإسلامية بشكل عام ونظرة متأخري فقهاء المالكية بشكل خاص، والتي اعتمدت في مجملها على مبدأ تكريم المرأة ومسئوليتها أمام الله مع مراعاة الأحكام الشرعية من لزوم الستر بالحجاب وغير ذلك؛ فإنه لا يوجد فرق كبير بين تناول الفقهاء للأحكام المتعلقة بالمرأة وبين غيرهم من فقهاء المالكية المتقدمين، وهذا ما جعل جل متأخري المالكية يعتمدون على مبدأ الستر القاضي بعدم ظهور المرأة، وهذا الستر يفتضي ضرورة إخفاء

(1) الخليل النحوي، بلاد شنقيط المنارة والرباط، عرض للحياة العلمية والإشعاع الثقافي والجهاد الديني من خلال الجامعات البدوية المتنقلة (المحاضر) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1987، ص. 28.

(2) حواء بنت ميلود، المرأة الموريتانية بين ثنائية الاتفاق والاختلاف، المطبعة الوطنية، انواكشوط، 2002، ص. 12.

(3) محمد ولد عبد الحي، الجذور التاريخية للثقافة النسائية، فعاليات الندوة حول الثقافة النسائية في موريتانيا، وزارة الثقافة، يوليو 15-16، أنواكشوط 2001، ص. 10.

(4) عباس الجراري، ثقافة الصحراء الثقافة، الدار البيضاء، 1978، ص. 72.

المرأة كيانا وإنتاجا، وهذا المبدأ عند غالبية فقهاء الشنقطة، لا يقبل الاجتهاد لا لشيء إلا أنه لا يجوز الخروج على تفرعات متقدمي فقهاء المالكية (1).

فقد تميز الفقه الشنقيطي المتعلق بالمرأة بميله إلى التشدد في بعض المسائل، وذلك أخذا بمبدأ: "سد الذرائع" الذي هو أصل من أصول مذهب الإمام مالك، وفي المقابل يميل إلى التسهيل والتوسيع في مسائل أخرى، انطلاقا من طبيعة المجتمع وذلك أخذا بقاعدة "المشقة تجلب التيسير" (2). ومن دواع العجب هنا حين ترى أقوال الفقهاء الشنقطة والأحكام التي يذكرونها فيما يتعلق بالمرأة، ثم تقارن ذلك بواقع المجتمع، حيث نجد إخلالا كبيرا بهذه الأحكام في حجاب المرأة، وفي صلتها بالرجال مع سكوت كثير منهم على بعض المظاهر؛ حتى إن البعض يرى أن تغيير ذلك الواقع غير واجب (3).

ومع تلك التصنيفات كان يوجد استثناء، حيث نجد بعض الفقهاء، على الأقل في المحيط الاجتماعي الضيق، قد أشادوا بدور بعض النسوة في الثقافة والعلم، ومن امثلة ذلك ما أورده العالم الجليل سيدي عالي ابن النجيب ابن محمد ابن شعيب الشريف التكروري (ت1170هـ) عن ابنته عائشة بنت سيدي عالي النجيب وهي عالمة مشهورة قرأ عليها الشيخ سيد المختار الكنتي (4)، وقرأت عليه وكانت تناقشه في الأحكام، ولك أن تتخيل ما لهذه المرأة من جسارة، لتناظر الشيخ سيدي المختار الكنتي، وهو من هو في العلم والتبحر، ومع أنها عجزت أمام الشيخ في المناظرة إلا أنه أعترف لها بالعلم والمعرفة بقوله: «... وكان للشيخ ابنة تدعى عائشة عالمة» (5).

وقد أتى للشيخ محمد بن أحمد المنوري السوسي، أن يحتك بالشنقطة النازحين إلى جنوب المغرب إبان الاستعمار نحو عام (1330هـ/1912م)، فلفت انتباهه واقع المرأة الشنقيطية، وسجل انطباعاته عنها في قوله: «... وفيهن أيضا عالمات أدبيات، وأقلهن بضاعة في الفقه التي معها المرشد المعين لابن عاشر، وأرجوزة القرطبي، ومن الأدبيات: المعلقات السبع وغيرها من أيام العرب، وفيهن، مدرسات، وقد شاهدنا امرأة وسط نساء تملئ عليهن الشيخ خليل بلا شارح؛ فخاضت في متته

(1) أغل بنت عبد الله، المرأة الموريتانية بين أسر التقليد ورياح التغريب، م س، ص. 37.

(2) نفسه، ص. 38.

(3) نفسه.

(4) الشيخ سيد المختار الكنتي (1811/1727م): أحد فطاحلة العلم والصلاح في موريتانيا، وابرز شيوخ الطريقة القادرية في غرب أفريقيا.

(5) السالكة بنت اسنيد، الشعر النسائي الشنقيطي القديم، بحث لنيل شهادة الماستر، جامعة شنقيط العصرية، انواكشوط، 2008/2007، ص. 32.

وحررت مسائله أحسن تحرير، بلا تكلف في إدارة املائه، وحولها من آخذات العلم ما يزيد على ستين امرأة، كما يحضرن، أيضا، مجالس العلماء الذكور كثيرا»⁽¹⁾.

وقد استفسر العالم أحمد بن البخاري، عن حكم تدريس النساء حين بعث إلى الشيخ سيدي الإنتشائي (1869/1284)⁽²⁾ يسأله عن حكم تدريس النساء ويخبره أنهن يتوافدن على منزله يطلبن العلم، وهو ما يستشف منه قبول مبدئي لتعلم المرأة لدى بعض علماء القطر الشنقيطي، وانسجاما مع ذلك التوجه أفتى الشيخ سيدي، في بحثه المطول بعنوان "رسالة في حكم تعليم النساء"؛ إلى ضرورة تبليغ العلم حيث لا فرق في وجوبه بين كون المتعلم رجلا أو امرأة، لأن النساء شقائق الرجال، في مطلوبة الاجتتاب والامتنال، وفي لزوم التعليم والسؤال⁽³⁾.

ومن هذا المنطلق، يمكن ذكر العديد من النساء اللاتي كان لهن حضور مميز في الثقافة الشنقيطية، مستشهدين بقوله الشيخ سيدي من أنه: «يوجد في كل عصر من نوات الحجال، من تفوق في العلم والدين كثيرا من الرجال»، وقد تداولت الذاكرة الشعبية العديد من النسوة اللاتي تميزن بعطائهن الثقافي، ومن ذلك ما يذكر عن فتيات مدينة "تينيكى" من حفظ الموطأ، وحفظ مقامات الحريري، ولمريم مانه بنت اللا من حفظ القاموس المحيط، وما عرف عن هند زوج الشيخ ماء العينين من علم، وعن حفيدتيه من رواية للأشعار ومشاركة في المجالات العلمية.

لكن تلك النظرة الحاملة التي تبناها بعض الفقهاء الشناقطة سرعان ما تلاشت أمام شمولية الانتاج الذكوري وطغيانه، وتهميش الحضور النسائي عموما على المستوى الثقافي، سواء بتقنين انتاجها داخل البيت، أو بعدم الأرتقاء بذلك الانتاج -إن وجد- الى مرحلة المنافسة ومن ثم التدوين، بل وحتى احتكار هذا الانتاج على فئة دون أخرى، نظرا لعوامل ذاتية وسياسية⁽⁴⁾.

(1) نقلا عن أحمد كوري ابن يابة السالكي، «مكانة المرأة المرابطية في مجتمع الدولة»، مجلة الوسيط، المعهد

الموريتاني للبحث العلمي ع، 14، 2015، انواكشوط، ص. 53.

(2) الشيخ سيدي الإنتشائي الايبيري الشنقيطي: عالم وفقه وشاعر، يعتبر أحد أبرز علماء موريتانيا الأجلاء، ومن بين أوائل من اهتم بفقه النوازل الاجتماعية.

(3) الشيخ سيدي الإنتشائي، رسالة في حكم تعليم البنات، مخطوط موجود في مكتبة هارون الشيخ سيدي، حقه، محمد بن سيدي يحيى، معهد ابن عباس، 1990، انواكشوط، ص. 12.

(28) حيث اقتصر الانتاج المعرفي خلال هذه الفترة، على فئة الزوايا، نظرا لاحتضانها للعلم والثقافة، واشتغال الفئات الأخرى، إما بمهمات حربية (حسان)، أو يدوية (الصناع)، وقد أثر هذا التقسيم على المرأة، فاصبحت كل فئة تشتغل بما خول لها. وتميزت نساء الزوايا بالقراءة، فهن يشاركن الرجل في التعلم والتعليم.

وعلى هذا الأساس؛ فإن النخبة النسائية التي ولجت باب التعلم، كن من ذوات العوائل الراسخ
قدمها في العلم ومجال المعرفة، لأن المجتمع الشنقيطي مجتمع أبوي يسيطر فيه إنتاج الرجال، ومن
ثم تم تكريس شأن المرأة في الحياة الأسرية، وخدمة البيت.

وعموماً بدت المرأة الشنقيطية من خلال التصور الفقهي شبه مغيبة في كتابات المؤلفين
الشنقاظة، إلا ما كان من ذكر شحيح لبعض من أثرن في الثقافة الشنقيطية، ولا يعدو ذلك التغييب
سوى صورة مصغرة لتمثالات الوعي الجماعي حول المرأة، فتلك التمثالات المجتمعية تشكل الرؤية
العامة التي تسكن في مخيلة عامة الناس، وفي ثنانيا الفكر والأدب والفن⁽¹⁾. وبالرغم من ذلك فقد وجد
الانتاج الثقافي النسائي طريقه إلى النور في القرون الأولى لتنامي الثقافة في ربوع الصحراء
الشنقيطية.

المبحث الثاني: الاسهام الثقافي للمرأة الشنقيطية

1) الاهتمام النسائي بالتأليف

لقد احتفظ التاريخ الثقافي الشنقيطي بأسماء بعض النسائي اللاتي تألفن في سماء المعرفة؛
فخطت أناملهن أولى بوادر الكتابة النسائية في المجتمع الشنقيطي، وهكذا تصدرت العديد من النساء
العالمات للمشيحة المحضرية، بل حتى أن بعضهن وصلن إلى مرتبة القضاء، وأستطعن أن يجلسن
للتدريس ويناظرن العلماء والفقهاء. ومن هذا المنطلق صنف الباحثون الاهتمام النسائي بالثقافة
الشنقيطية الى ثلاثة صعد⁽²⁾:

أولها: دور المرأة في التعلم والتعليم، وفيه يمكن التعرف على النساء اللواتي وصلن إلى
مستوى معرفي سمح بذكرهن في عداد العلماء وممارسي التدريس المحضري، من مثيلات هذا
الصنف: خديجة بنت العاقل، ولالة عيشة بنت أعلي الأزرق، زوج الشيخ سيدي المختار الكنتي،
وزوج الحارث بن محنض بن سيدي عبدالله الشقراوي، وغيرهن.

(29) بورغدة وحيدة وآخرون، المرأة العربية من العنف والتمييز إلى المشاركة السياسية، سلسلة كتب

المستقبل، (70)، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2014، ص. 44.

(2) ، ولد سيدينا (محمد المختار)، «ماهية الثقافة الموريتانية وإسهام المرأة فيها»، مجلة الموكب الثقافي، للجنة الوطنية
الموريتانية للتربية والثقافة والعلوم، مارس، 2009، ص. 27- 28، ص. 27.

وثانيها: علاقة المرأة بالموروث الثقافي المكتوب: ويهتم هذا التصنيف في من طرفين باب التأليف وهن نزر يسير، أو من خضن غمار الشعر العربي الفصيح الأوسع دائرة نسبيا من المؤلفات (1)، ومن كتبن النثر الأدبي مثل: خديجة بنت أحمد بن بكي الشقراوية، أقدم امرأة كتبت في المقامات في السيرة النبوية. ومن تصنيفات الباحثين للأدب النسائي التحشية ونقل الكتب: وهو نشاط معرفي طرفته المرأة الشنقيطية، وإن على نطاق ضيق، لا يتجاوز النماذج المعروفة منه حتى الآن عدد أصابع اليد الواحدة(2).

لقد تعددت مجالات الحضور الثقافي النسائي، وإن انحصر المنتوج الثقافي النسائي في مجالات بعينها؛ (العلوم الدينية والأدب بشقيه الفصيح والشعبي) ذلك أن ثقافة البلاد كانت استيعابا وترجيحا، أكثر منها خلقا وإبداعا، ومع ذلك لا يمكن إغفال الموروث الأدبي النسائي الذي كان علامة هامة في التاريخ الثقافي للشناقطة بالرغم من أن القليلات هن اللاتي كتبن وألفن، إذ، توجد بعض الشواهد الحية على غنى المنتوج النسائي (شعرا ونثرا)، والذي شكل فيما بعد بواكير الكتابة النسائية التي تميزت بعطائها وعمقها المعرفي.

إن هذا المقال لا يستطيع أن يطال كل الأيدي النسائية التي ساهمت في الثقافة الشنقيطية، وذلك لشح المعلومات من جهة، وندرة الكتابات حولها من جهة أخرى؛ لذا سنعمل على اختيار بعض النماذج النسائية، في حقلين ثقافيين هما: التأثير النسائي في العلوم الدينية، والمساهمة الأدبية للمرأة (شعرا ونثرا).

(1) محمد المختار ولد السعد، الثقافة النسائية في موريتانيا، م.س، ص.27.
(2) نفسه، ص. 26.

- ففي مجال العلوم الدينية: نذكر على سبيل لا الحصر: خديجة (أوغادجة) بنت العاقل⁽¹⁾، وفاطمة بنت محمد محمود بن عبد الفتاح الملقبة توت بنت الداہ⁽²⁾، وأمنة بنت الطالب محمد⁽³⁾، وهد بنت حمد الله المجلسية⁽⁴⁾، وحاجة بنت ابن عديم الديمانية⁽⁵⁾، وفاطمة بنت محمد بن بلاه عبد

(33) خديجة (أوغادجة) بنت العاقل: عالمة موريتانية شهيرة، تبحرت في المنطق، وتفوقت فيه، وأصبحت تقول للشيء البديهي (هو الضروري عندنا كالمنطق)، فقد روت الكاتبة حواء بنت ميلود عن المختار بن حامدن، قصة تعلق خديجة بهذا العلم، رغم أنه أشد أنواع العلم تعقيدا، وذلك عندما تعلقت بكتاب (شرح الولاوي) على مختصر السنوسي في المنطق، مما اضطر والدها إلى شرائه بثمن باهظ. وقد ألقت كتابها المشهور بالمنطق (احمرار الطرة) وتقول فيه محددة مفهوم المنطق: المنطق يسمى كذلك؛ لأنه يعين النفس الناطقة على اكتساب المعلومات...، هذا وقد تصدرت خديجة محاضرة كبيرة تخرج منها علماء أجلاء أمثال: أخوها أحمد بن العاقل (ت1244 هـ) والمختار بن بونا الجكني (ت1230 هـ - 1815م) والمامي عبد القادر (ت1221 هـ) زعيم دولة فوته السنية، وقد توفيت خديجة بنت العاقل رحمها الله (1251 هـ) وخلفت وراءها العديد من المؤلفات من أهمها:

- أم البراهين شرح في العقيدة الأشعرية.

- طرة على سلم الإمام الأخضر في المنطق، وتوجد هذه الطرة محفوظة في قسم المخطوطات بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي تحت الرقم 755. راجع: السالكة بنت اسنيد، الشعر النسائي الشنقيطي القديم، م س، ص 22.

(2) فاطمة بنت محمد محمود بن عبد الفتاح الملقبة توت بنت الداہ: عالمة ومدرسة، ومؤلفة، وشاعرة وخطاطة، اشتهرت بجمال الخط لدرجة جعلت الشيخ سيدي الكبير عند ما رأى خطها يغض عنه بصره لحسنه، ويقول قولته الشهيرة "المرأة كلها عورة"، اشتهرت بنسخ الكتب، فنسخت الكثير من المؤلفات أهمها:

- كتاب العقيدة الصغرى في التوحيد لمحمد بن يوسف السنوسي (ت895 هـ) وهو نظم لابنها محمد محمود بن الحسن.

- كتاب الستر الدائم للمذنب الهائم للشيخ محمد فاضل بن مامين (ت1286م) رسالة في التصوف للشيخ سيدي بابا.

(3) أمينة بنت الطالب محمد: عالمة وخطاطة، نسخت نسخة نادرة من نظم مالك بن المرحل المسمى (التلويح)، وهو موجود بخطها في دار الكتب المصرية وهي النسخة التي كتبتها لمحمد محمود ولد اتلاميذ. السالكة بنت اسنيد، الشعر النسائي الشنقيطي القديم، م س، ص 23.

(36) هند بنت حمد الله المجلسية: ولدت في ضواحي أكجوجت سنة 1851، اشتهرت بتدريس المتون المحضرية التي قل من درسها من النساء، فقد ذكر المؤرخ المختار بن حامدن: أن زوجها محمد حبيب الله بن أبوه بن محمد سالم، كان يرجع إليها في حل النوازل المستعصية، تخرج على يديها كثير من المشاهير من بينهم أبناؤها ومنهم: حبيب الله رئيس المجلس العلمي الأعلى في لعيون في المغرب، ووكيل الملك سابقا في الداخلة، وقد صحب رحمه الله معظم آثارها معه إلى المغرب، ومنها:

- شرح الريان على أسماء الله الحسنى، وأجوبة لبعض الأسئلة التي كانت تمتحن بها طلابها توفيت رحمها الله عام (1393 هـ - 1973م) عن عمر بلغ 102، قضت جلها في التدريس والدراسة داخل محاضرة أهل محمد ولد محمد سالم. راجع: السالكة بنت اسنيد، الشعر النسائي الشنقيطي القديم، م س، ص 24.

(5) حاجة بنت ابن عديم الديمانية: ولدت 1938 في ولاية ترارزة في الجنوب الموريتانيا، وهي والدة الباحث الجليل المرحوم جمال ولد الحسن، من مؤلفاتها: (تحفة الحفاظ لما يتكرر في القرآن الكريم من الألفاظ).

القادر⁽¹⁾، ومريم بنت الأمين ولد الحاج الشقروية⁽²⁾، ومريم السالمة بنت بدي الإنتابية⁽³⁾، ومريم السالمة بنت أحمد لعبيد الناصرية⁽⁴⁾، وفاطمة بنت الطالب أحمد ولد محمد راره التنواجيوية⁽⁵⁾.

إن تلك النسوة العشر ماهي إلا أمثلة، بالرغم من وعينا باحتضان الثقافة مجالات كثيرة غير "عالمة" تدرج في ما يعرف بالفولكلور والفنون والتقاليد الشعبية، كالزخرفة المعمارية في مدينة ولاته مثلا، والشعر الشعبي (خاصة جنس التبراع)، والفنون الأصيلة ذات اللمسات الرمزية (كالحناء، وتطوير الثياب، وتقليعات الشعر) والصناعة التقليدية (رقم المخدات، توشية أدوات الشاي، إلخ)، وفنون الرقص بأبعادها ودلالاتها الثرية، والموسيقى بصنوفها ومقاماتها ذات التلوين النفسي والاجتماعي، والأبعاد الفلوكلورية الأخرى من العاب، والوان وغيرها⁽⁶⁾.

أما في مجال الإسهام الأدبي: فهناك نماذج كفيلا بالتأكيد على تأثير المرأة في الثقافة الشنقيطية ومواكبتها للنهضة الأدبية التي شهدتها بلاد شنقيط، فلم تكن مريم بنت أحمد بزيد الباركلية (ت1111هـ) و مريم بنت الأمين الحاج الشقروية (ت1276هـ) ، وخديجة بنت أدبه الكنتية⁽⁷⁾، ومريم بنت رجال الحسنية (القرن 13هـ)⁽⁸⁾، ومريم بنت محمذن ولد أمبارك ولد تفا الحسنية (ت

(1) فاطمة بنت محمد بن بلاه عبد القادر: عالمة ومدرسة في محضرة الإمام مالك بن أنس قسم النساء في أطار، - شمال موريتاني- لها العديد من الشروح والمؤلفات من أهمها: نقلة في التوحيد، نقلة على شرح أسهل المسالك، شرح على قرّة الأبيصار، شرح على الأربعين النووية). توفيت رحمها الله في الثاني من رمضان 1417هـ الموافق 16 فبراير 1996 عن عمر بلغ ست واربعين سنة.

(2) مريم بنت الأمين ولد الحاج الشقروية: عالمة وشاعرة في جميع الفنون، اشتهر عنها أنها تساجل العلماء في الفقه والأدب، من مؤلفاتها: (شرح على كافية محمد بن مالك في النحو موجودة بخطها)، توفيت 1276هـ. مقتبس من: السالمة بنت اسنيد، الشعر النسائي الشنقيطي القديم، م 3، ص23.

(3) السالمة بنت بدي الانتابية: من أهل المعرفة، قد عرفت بحسن الخط، ويوجد أحد مخطوطاتها بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي، توفيت 1988.

(4) مريم السالمة بنت أحمد لعبيد الناصرية: عالمة تقية خبيرة بتفسير القرآن، قال عنها بابا ولد الشيخ سيديا، أنه لا توجد آية من القرآن الكريم إلا مريم السالمة تعلم معناها ومدلولها، توفيت رحمها الله حوالي 1940.

(5) فاطمة بنت الطالب أحمد ولد محمد راره التنواجيوية: عالمة ورعة، اشتغلت بنسخ الكتب، توفيت مطلع القرن العشرين. السالمة بنت اسنيد، الشعر النسائي الشنقيطي القديم، م 3، ص. 25

(6) محمد المختار ولد سيدينا، ماهية الثقافة الموريتانية وإسهام المرأة فيها، م 3، ص. 32.

(7) خديجة بنت أدبه الكنتية: تعد شاعرة مرموقة من أولاد سييد الوافي، ولها ديوان شعر يشرف على تحقيقه الأستاذ الشاعر الدي ولد أدبه، وتسمى خنساء تكانت.

(8) مريم بنت رجال الحسنية التي مدحت الشيخ سيدي بقصيدة توصف بالعصماء، بال بالرغم من أنها لم يعثر عليها حتى الآن، وقد بهرته واعجبته.

(1972)⁽¹⁾، وميم بنت سيدي أحمد ولد أغشمتت المجلسية⁽²⁾، ومريم بنت جين الجكنية⁽³⁾، إلا نماذج مهمة لنساء خرجن عن طوق التقاليد وقهرن العادات وهيمنة الإنتاج الذكوري⁽⁴⁾. لقد تفاوتت غزارة الانتاج الأدبي لدى النساء، إذ يوجد منهن من تمتلك ما يمكن أن يطلق عليه اسم ديوان، كما هو الشأن بالنسبة "ليمة بنت سيدي الهادي اليدالية"، حيث يعتني أفراد أسرتهما بجمع أشعارها وحفظها⁽⁵⁾، ومنهن من أهمل الانتاج، فلا تكاد تجد منه إلا النزر القليل.

ونأخذ هنا مثالا للمخطوطات النسائية التي كانت تطرق مختلف العلوم الدينية من فقه وتصوف وتوسلات، حتى تصل احيانا الى فتاوي ونصائح للعامة والخاصة، وقد تصل إلى مجارة بعض العلماء الكبار. ويوضح المخطوطان التاليان نموذجا للكتابة النسائية، ممثلا بقصيدة لمريم الشقراوية وهي تنثني على الشيخ سيدي وعلمه، والنموذج الثاني يمثل نصيحة عامة في أمور الدين، لفاطمة بنت عبد الفتاح الابيرية، وقد حصلنا على هذان المخطوطان من خلال مجهودنا الخاص، وبالتعاون مع بعض الباحثين في الميدان:

(6) مريم بنت محمذن ولد أمبارك ولد تقا الحسنية: عاشت خمسة وتسعين سنة، انفقتها في طلب العلم، وتعليم الطلاب ومساعدتهم على اكتساب العلم في محطرة زوجها العالم الجليل محمد الأمين ولد أحطانا، وكانت حفظ القرآن العظيم. راجع: السالكة بنت اسنيد، الشعر النسائي القديم، م س، ص. 33

(2) ميم بنت سيدي أحمد ولد أغشمتت المجلسية: هي والدة الشيخ محمد فال بن أبة المشهور بالعلم وجودة الشعر (ق 13 هـ).

(3) مريم بنت جين الجكنية: اشتهرت بالتمكن من القرآن وعلومه، وفي الفقه والنحو والسيرة والتوحيد والعقائد، تعد من أهم الشواعر الشنقيطات. انظر: السالكة بنت اسنيد، الشعر النسائي القديم، م س، ص. 33.

(4) السالكة بنت اسنيد، (1959)، مناظرة وكاتبة صحفية، أجريت المقابلة معها في: انواكشوط، 2016//02/7.

(5) كما روي عن الشيخ سيدي الكبير عندما أنشدته مريم بنت الأمين بن الحاج الشقراوية، قصيدتها في مدحه بخطها. راجع هذا المخطوط في ملحق المخطوطات في هذا البحث، ص. 242

المخطوط (2)



مخطوط لمريم بنت الحاج الشقراوية، وقد امدحت فيه الشيخ سيديا الكبير، ورد عليها بأن المرأة كلها عورة، لجمال خطها. المصدر: أحمد ولد حبيب الله. مقابلة سابقة.

المخطوط (1)



مخطوط لفاطمة بنت محمد محمود بن عبد الفتاح المالمصدر: مكتبة أهل أحمد زروق، أنواكشوط

(2) عوائق الانتاج الثقافي للمرأة

انطلاقا من ما سبق، ووعيا منا بضرورة فهم الاسباب الكامنة وراء ضعف الانتاج الثقافي للمرأة نجمال هنا أهم العوائق التي ساهمت في ضمور الانتاج النسائي في المجتمع الشنقيطي فيما يلي:

- طغيان العرف الاجتماعي وموروثه الذي لا يرى للمرأة أهلية في التعلم، إضافة إلى بعض الفتاوي الفقهية المتحجرة التي تذهب إلى حد تحريم تعلم الكتابة على النساء، وربما بنى أصحاب هذا الرأي موقفهم على الأثر "علموهن الغزل والخياطة ولا تعلموهن القراءة والكتابة"، والواقع أن أكثر المحققين نفى صحة هذا الأثر، ورأى أنه يتناقض مع ما جاءت به الشريعة من الحث على العلم دون تفریق بين الرجل والمرأة، بالرغم من أن أغلب علماء القطر الشنقيطي لم يكن، غائبا، عن أذهانهم ضرورة تعلم المرأة، باعتبار ذلك مطلبا شرعيا.

- كما ساهم التقسيم الوظيفي في المجتمع الشنقيطي، وحياة البداوة والظعن، ومن ثم السعي وراء تحصيل لقمة العيش وتحكم سلطان العرف والعادة في الكثير من ممارسات المجتمع، والتي كانت تعيق انتشار الثقافة النسائية عموما.

- ظاهرة السمنة أو التسمين القسري (لبلوح)⁽¹⁾، والتي طغت على المجتمع الشنقيطي منذ نشأته وإلى وقت قريب، والتي تعتبر عاملا أساسيا في ضمور انتاج المرأة، حيث يعتبر عامل التنشئة البدنية وما يجلبه من التركيز على مظهر المرأة وزينتها، أهم الأسباب التي أبعدت المرأة الشنقيطية عن ميدان التعلم واكتساب المعارف.

- البعد الجغرافي: حيث أن أغلب الأصوات العربية والغربية التي نادى بتحرير المرأة، وتمييز إنتاجها عن الرجل لم تكن قد وصلت بعد إلى بلاد شنقيط ساعتها، نظرا إلى متانة القيم الاجتماعية والثقافية التي حالت دون وصول ذلك الفكر إلى المرأة. ومنه فقد عانى الموروث الثقافي النسائي نقصا حادا، في مجال الطرح والتوثيق، الأمر الذي أدى به إلى الإهمال، شأنه في ذلك شأن الكثير من معالم التاريخ الثقافي الشنقيطي، الذي بقي الكثير منه مطمورا.

(1) لبلوح: هو التسمين القسري والسريع، حيث كلنت تجبر أغلب الفتيات على هذه الوضعية.

3) صورة المرأة في الثقافة الشنقيطية

إن استجلاءنا لصورة المرأة في الثقافة الشنقيطية، أعطانا مجموعة من الملحوظات لعل أهمها: قلة الانتاج الثقافي بالرغم من اسهام بعض النساء في الثقافة الشنقيطية، لكن ذلك الانتاج يبقي ضعيفا، نظرا للتركيبية الاجتماعية المعقدة التي كانت قائمة على ثنائية الزاوي والحساني، والتي كانت تحصر كل من نساء الفنتين في زاوية معينة يطغى عليها الجانب الوظيفي عادة، ففي الوقت الذي توجد في فئة الزوايا⁽¹⁾، لوائح طويلة تخلد انتاج الرجال(علماء وفقهاء)، تكاد تنعدم أي آثار للانتاج النسائي في الحقل الثقافي إلا ماكان من ذكرنادر⁽²⁾.

ويعود ذلك إلى عدم اهتمام المجتمع عموما، والأسرة التي نشأت بها المرأة إلى تعليم النساء، والأمر هنا ينطبق على مختلف فئات المجتمع الشنقيطي -على الأقل- في الفترة التي نحن بصدد دراستها، فالمحظوظات من النساء هن اللاتي أستطعن أن يحفظن أجزاء من القرآن، وبعض المبادئ في الفقه والسيره.والأمر، في مجمله، لايعود أن يكون معرفة ما يحفظهن من المس والشياطين، و من ثم فهم بعض الأحكام الفقهية، هذا بالنسبة للفئات المجتمعية ذات الطابع الديني والثقافي(الزوايا مثلا)، أما الفئات المجتمعية الأخرى، فتقع المرأة فيها في ظلام دامس من الجهل، حيث تطغى الاهتمامات الحربية أو السخرة على نسائها.

ومن خلال تلك التمثلات السابقة تبدو صورة المرأة ضعيفة في المخيال الجماعي، وفي ثقافة النخبة المتعلمة الشنقيطية، إذ، أنه في جميع الحالات يجب أن تكون المرأة تابعة للرجل، خاضعة لهيمنته⁽³⁾، لا بل تكون في حالات عدة، مؤمنة ومدافعة ومتعصبة لسلطته وشرعيته وهيمنته.

وقد أوضحت الكاتبة المغربية فاطمة المرنيسي في تقديم روايتها: "أحلام نساء الحريم"⁽⁴⁾، أن مفهوم الحريم في التمثلات الثقافية لدى المجتمعات العربية وهو ماينطبق على المجتمع الشنقيطي،

(1) كانت فئة "الزوايا" دون غيرها الحاضنة للثقافة الشنقيطية؛ إذ لا يكاد يوجد ذكر منهم ولا أنثى إلا يقرأ ويكتب، على حد تعبير صاحب كتاب الوسيط، فيما يرى المختار بن حامدن: أن المرأة في فئة الزوايا تجاوزت مرحلة القراءة البحتة إلى مشاركة الرجال في جميع الفنون مع الصيانة وعدم التبذل، لذا كانت المرأة تلتحق بمحضرة حياها مبكرا وتتلقى المعارف كما يتلقاها الرجل.

(2) أحمد بن الأمين الشنقيطي، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، مكتبة الخانجي، ومؤسسة منير، ط4، القاهرة، 1989، ص. 268.

(3) Simone Beauvoir, *Teh second se: the woman as other*, Vintag Classics, New York, 1997. P.207.

(5) فاطمة المرنيسي، أحلام النساء الحريم، ترجمة ميساء سري، ط1، دار ورد للطباعة والنشر، دمشق، 1997، ص. 214-227.

هو مفهوم يوحى بالفراغ، بفراغ داخلي، حيث يحق للنساء أن يكن، وفراغ خارجي ذكوري تقصى منه النساء⁽¹⁾.

إن أبرز ملامح هذه الصورة كانت تختزل المرأة في ما أصطلحنا على تسميته "بالمرأة الفتنة"؛ ففي عيون الرجال الذين هم أرباب القلم لاتعدو المرأة سوى مصدر للمتعة؛ أي أن مصدر أهميتها الأول يكمن في الجانب البيولوجي وليس الثقافي⁽²⁾، فالمرأة تكون مثالية عندما تكون قابعة في بيتها لا تغادره، حيث تتفرغ للشؤون الخاصة من طبخ وتنظيف وتربية أطفال، وهو ما يؤكد المقول التقليدي المأثور في المجال الشنقيطي «المرأة من بيتها الى قبرها».

إن صورة المرأة في المخيلة الجماعية الشنقيطية، لم تكن وحدها التي تحول دون ولوج المرأة إلى دنيا الحرف، فلم تكن صورة المرأة لنفسها بأحسن حال، فكانت تتقاسم الكثير من الملامح والسمات مع الصورة التي رسمها الرجل لها، فجاء خطابها رجوع صدى لخطابه، فهي تنتقص حقها وذاتها دون أن تعلم، ومن دون أن يتاح لها في ذلك الخيار، فأحيانا تتكلم على المرأة بلسان رغبات الزوج، وأحيانا أخرى بلسان قوانين القبيلة والعشيرة، وأخرى بلسان الدين.

وعلى هذا الأساس، فالتعبير النسائي هنا يتحول إلى كيفية لا شعورية تعبر عن البناء الرمزي الخفي للثقافة، مما يدل على قوة الهيمنة وقدرتها على الاخضاع والتطبيع من دون مواجهة أدنى مقاومة من الطرف المهيم⁽³⁾، وإن كانت التراثيات الثقافية الشنقيطية دأبت على ترسيخ هذا النمط من التفكير، إلا أنه يمكن أن نجد العديد من الصور المغايرة والتي تبدو أكثر إنصافا بالنظر إلى المرأة وطاقاتها الانسانية، ووظائفها الاجتماعية، وأدوارها الإنتاجية والثقافية، وهو ما صنفناه في إطار الاستثناء، باحتفاظ التاريخ الشنقيطي بأسماء بعض النساء اللاتي تميزن بعطاهن الثقافي، بالرغم من ضعف ذلك العطاء، موازاة بما انتجه الرجل.

إن إجراء موازنة بين ما كتبه الرجال وبين ما كتبه المرأة، تظهر أن المجتمع الشنقيطي في انتاجه الثقافي كان ذكوريا بامتياز؛ إذ أن ما اندرج في سجلات الأدب النسائي، لا تتجاوز موضوعات عبرت فيها المرأة عن سلوكها الاجتماعي المتسق مع طبيعتها البيولوجية⁽⁴⁾، فكانت الاهتمامات في أغلبها ذاتية تتمركز حول الرجل واهتماماته، إضافة إلى العناية بالبيت وشؤون الأسرة، وكل هذا من

(56) بورغدة وحيدة وآخرون، المرأة العربية، م س، ص. 45.

(57) بورغدة وحيدة وآخرون، المرأة العربية، م س، ص. 46.

(3) نفسه، ص. 45.

(59) فرح الفاضلي، الذكورة والأنوثة في القرآن الكريم، ط1، بيروت، 2018، ص. 27.

أجل الحفاظ على البنية الاجتماعية السائدة. إن تهميش وإهمال الإنتاج النسائي يعد عاملاً أساسياً في ندرته، حيث أن المجتمع ما فتئ ينظر إلى المرأة على أنها "ناقصة عقل ودين"، حيث ظلت تلك النظرة لفترات طويلة قابضة في الوجدان الجماعي.

وبالرغم من اختلاف وتباين عوامل اهتمام المرأة الشنقيطية بالأدب، فإن الأمثلة السابقة التي أوردناها، تبين أن ما يتعلق منه بالحوادث واللحظات التاريخية المهمة بقي مسجلاً، ويستخدمه كتاب التاريخ لتعزيز آرائهم المختلفة حول الأحداث⁽¹⁾.

في حين بقي الأدب اللصيق بالهموم النفسية والوجدانية للمرأة، خاصة فيما يتعلق منه بالشعر الفصيح، والإنتاج الفكري، والمواقف من السلطة والمجتمع طي الكتمان، وهذا ما يجعلنا نتحفظ على مصطلح ثقافة نسائية في بلاد شنقيط بالمفهوم الأشمل للثقافة، وإن وجدت بعض ملامح الإنتاج النسائي والتي لم يكشف عنها بصورة شاملة، مالم تتضافر جهود الباحثين والباحثات من أجل غربة ثقافتنا الشعبية من صنوف الأحكام المسبقة، ومن ثم الحفاظ على بقايا الإرث الانساني الثقافي الشنقيطي المههد بالضياع، والذي من ضمنه الإنتاج النسائي، الذي بقي محدود التداول، فلا نراه مستخدماً في الدرس المحضري الأدبي، ولا ضمن الشواهد التي يستعان بها من حين لآخر، وهو ما أدى بكثير منه إلى الاندثار. وجملة القول: إن مصادر الصورة الثقافية عند المرأة الشنقيطية مازالت مشوشة، ترتعن الماضي وتركن إليه، وإن تميزت برقة لغتها ورخاوة الأصوات لديها.

الخاتمة:

ومن ماسبق يتضح ومن خلال المعلومات المتاحة أن المرأة الشنقيطية كان لها حظ من الثقافة المكتوبة المتداولة في الوسط الاجتماعي الشنقيطي، وإن كان يصعب تقويمه ما لم يتم جرده جرداً شمولياً وتمحيصه ودراسته، دراسة علمية جادة، تنأى عن الأغراض والمصادر الجاهزة والأنية. وبالتالي فإن المرأة الشنقيطية قد ولجت دنيا الحرف، بالرغم من ممارسة المجتمع عليها اصناف الحجب والمنع، مما اضطر النساء إلى تمرير انتاجهن عبر الوسائط المتاحة، والتي كانت جد محدودة. إذ، أن اعتلاء المرأة للمنابر الثقافية بمختلف دلالاتها واصنافها، قد يعرضها في نظر المجتمع الشنقيطي المحافظ حد الانغلاق، إلى أقسى الأحكام.

(60) السالكة بنت اسنيد، الشعر النسائي القديم، م س، ص. 37

إن الفكر والعادات هي العقبات التي رسخت في المرأة الشنقيطية ، الانحطاطية والشعور بالدونية والعجز وكسرت ثقفتها بنفسها، وبترت منها حاسة المسؤولية خارج نطاق الخيمة الضيق، ولئن كانت النماذج السابقة قد خرجت عن طوق المعهود في الثقافة، وخلقت نخبة نسائية فاعلة في المشهد الثقافي الشنقيطي وإن كنا خلصنا إلى ضآلة وضمور الانتاج الثقافي النسائي في الفترة الشنقيطية، وذلك نتيجة لاسباب اجتماعية وفكرية ذكرناها سابقا، لكن فالمقابل لايمكن ان نغفل عن بعض الاسهامات الثقافية التي شكلت بداية الكتابة النسائية في المجتمع الشنقيطي على وجه التحديد والموريتاني عموما.

وإذا كنا نتفق مبدئيا على ضعف المشاركة والحضور النسائي في المشهد الثقافي الشنقيطي بشكل عام، على الرغم من وجود طاقات ومواهب نسائية، أهلت المرأة إلى خوض ميادين الفكر التي كانت حكرًا على الرجال، إلا أن الانتاج الثقافي النسائي ، وبالرغم من تلك العراقيل قد تغلب على ذاته، لأن فيه تلتقي الثقافة بالتاريخ والحضور بالموهبة، فالمرأة الشنقيطية تصوغ لغتها بشكل مختلف - وإن على مضض- عن أشكال لغة كتابة الرجل، سواء تعلق الأمر بالكتابة المخطوطة أو أشكال الكتابات الأخرى.

وهكذا عملت المرأة الشنقيطية على اظهار نفسها بشكل مغاير، لكي تغرس الصورة التي تحملها عن ذاتها، وهو أمر جعل العديد من الباحثين يُقر بأن المرأة في موريتانيا شنقيط تمتلك لغة لامتناهية، الصياغة والرموز، لأنها تمتلك سلطة هائلة تتمثل في قدرتها على الوصول الى المتلقي بل وإقناعه، لكن تلك الرموز لم توظفها في الآن نفسه من أجل اثبات ذاتها المستقلة، وإن كان يحسب لها دخولها إلى ساحة المشهد الثقافي الشنقيطي مبكرا، والذي طغى عليه الانتاج الذكوري ردحا طويلا، الأمر الذي ساهم في تتبنى النخب النسائية للخطاب الذكوري، من حيث الطرح والرؤى، وكأن المرأة الكاتبة تنتج من أجل إرضاء وجذب أنظار الآخر.

لقد كانت السمة الغالبة على اكثر الكتابات النسائية؛ الانغلاق شبه التام، فالمرأة لا توظف العديد من المعطيات في الابانة عن المعاني التي تصبو إليها، وبناء عالمها الخاص الممتلئ بالصور التي تحاكي فيه واقعها، حيث بقيت مستويات الحضور لديها ضيقة، لا نكاد نلمس من خلالها كبير الأثر في التصور الجماعي، الشيء الذي جعل مرجع هذه المرأة مرجعا تراثيا ثقافيا بالأساس، وهو ما وصم انتاجها بالضعف والاستكانة للعرف والمألوف. ويبقى السؤال المطروح: لماذا وبعد هذه المدة الطويلة من الانتاج الثقافي للمرأة الموريتانية مازلنا غير قادرين على محو الصور النمطية للمرأة

من ذاكرة الوجدان الجماعي؛ إذ ما نزال غير قادرين على رؤية صورة تلك المرأة الحرة، عقلا وفكرا، إلا عبر شقوق المشهد الثقافي العام.

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن الأمين أحمد (الشنقيطي)، الوسيط في تراجم أدياء شنقيط، الوسيط في تراجم أدياء شنقيط، مكتبة الخانجي، ومؤسسة منير، ط4، القاهرة، 1989
- ابن الشيخ ماء العينين الشيخ (محمد الإمام)، الجأش الربيط: في النضال عن مغربية شنقيط وعربية المغاربة من مركب وبسيط، ط 1، مطابع حزب الاستقلال، 1957.
- ابن المحبوبي (محمذن)، «المرأة الشنقيطية ونوزازل الزينة والبدانة، وقفة مع المنحنى الاجتماعي في التوجه الإفتائي»، مجلة الوسيط، ع 14، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، انواكشوط، 2015.
- ابن حامدن (المختار)، موسوعة حياة موريتانيا، ج2، الحياة الثقافية، الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1990.
- ابن يابة أحمد كوري (السالكي)، «مكانة المرأة المرابطية في مجتمع الدولة»، مجلة الوسيط، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، ع 14، انواكشوط 2015.
- بنت اسنيد (السالكة)، الشعر النسائي الشنقيطي القديم، بحث لنيل شهادة الماستر، جامعة شنقيط العصرية، انواكشوط، 2008/2007.
- بنت عبد الله (أغل)، المرأة الموريتانية بين أسر التقليد ورياح التغيير، بحث لنيل "الاجازة المتريز" المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، أنواكشوط، 1995-1996.
- بنت ميلود (حواء)، المرأة الموريتانية بين ثنائية الاتفاق والاختلاف، المطبعة الوطنية، انواكشوط، 2002.
- بوز نكاض (محمد)، التواصل بين بلاد البيضان والمشرق العربي خلال القرنين 19 و20، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2014.

- الجراري (عباس)، **ثقافة الصحراء الثقافة**، الدار البيضاء، 1978.
- الحسين (حديدي)، **الحياة الفكرية والروحية بالمجال البيطاني خلال القرنين 18 و 19م**، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، 2014.
- الشيخ سيديّ (الإنشائي)، **رسالة في حكم تعليم البنات**، مخطوط موجود في مكتبة هارون الشيخ سيدي، حققه، محمد بن سيدي يحيى، معهد ابن عباس، 1990، انواكشوط.
- الفاضلي(فرح)، **الذكورة والأنوثة في القرآن الكريم**، ط1، بيروت، 2018،
- المرنيسي (فاطمة)، **أحلام النساء الحريم**، ترجمة ميساء سري، ط1، دار ورد للطباعة والنشر، دمشق، 1997.
- النحوي (الخليل)، **بلاد شنقيط المنارة والرباط**، عرض للحياة العلمية والإشعاع الثقافي والجهاد الديني من خلال الجامعات البدوية المتنقلة (المحاضر) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1987.
- وحيدة (بورغدة) وآخرون، **المرأة العربية من العنف والتمييز إلى المشاركة السياسية**، سلسلة كتب المستقبل، (70)، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2014.
- ولد الحسين (الناني)، **صحراء المثلثين**: دراسة في تاريخ موريتانيا وتفاعلها مع محيطها الأقليمي، خلال العصر الوسيط، ط1، دارالمدار الإسلامي، بيروت، 2007.
- ولد عبد الحي(محمد)، **الجدور التاريخية للثقافة النسائية**، فعاليات الندوة حول الثقافة النسائية في موريتانيا، وزارة الثقافة، يوليو 15-16، أنواكشوط 2001.
- Aidera (Cheikh), «la emme mauritanienne et l’histoire», **journal Nouakchott**.
- Beauvoir (Simone), **Teh second se: the woman as other**, Vintag Classics, New York, 1997.

- Caillé(René), **Travels through Cental Africa to timbuctoo**, and Across the Great Desert,to Morocco,performed in the years,(1824-1828),Cambridge University,England, 2013.
 - Fall (Aly), « la Femme dans le système juridico-économiqu Mauritanie », **Revue Tunisienne de Droit**, Nouakchott , 1998, p. 159-161.
- femme Mauritanie», **Travson apport** «La said),-hamody (Mohamed Old .2000à l'héritage traditionnel, Nouakchot,